منصة التعليم التونسي · السنة الثانية ثانوي

شرح نص لخولة أطلال

محور الشعر الجاهلي · اللغة العربية

محتويات الدرس

التمهيد

شرح الدرس

المفردات والمصطلحات

منهجية الإجابة

تمهيد

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، ويقدم مسارًا واضحًا لفهم النص وتحليله ومراجعة عناصره الأساسية.

شرح نصّ «لخولة أطلال» — محور الشعر الجاهلي

تمهيد: يمثّل المطلع الطللي مدخلًا شائعًا إلى القصيدة الجاهلية؛ إذ يستحضر الشاعر آثار ديار خلت من أهلها، فتوقظ فيه الذكرى وتفتح الطريق إلى الحديث عن الرحيل والحبيبة. ويجمع هذا المطلع من معلّقة طرفة بن العبد بين صورة المكان المهجور وصورة المرأة الغائبة، ثم ينتقل من ألم الفراق إلى استعادة مشاهد رحلتها ووصف محاسنها. لذلك لا يقتصر النص على رسم مشهد، بل يكشف أيضًا عن صلة الشاعر ببيئته وعن أثر الماضي في وجدانه.

التقديم: طرفة بن العبد شاعر جاهلي من شعراء المعلّقات، واسمه عمرو بن العبد. عاش في القرن السادس للميلاد، واشتهر شعره بالفخر والهجاء، كما عُرف بميله إلى اللهو. والنص مطلع من معلّقته، مبنيّ على إيقاع بحر الطويل، ورويّه الدال المكسورة. والمعلّقة قصيدة من عيون الشعر الجاهلي؛ وتُستعمل التسمية للدلالة على منزلة هذه القصائد ومكانتها في التراث.

الموضوع: يقف الشاعر على آثار منزل خولة، فيثير المكان حزنه ويسترجع مشهد رحيلها، ثم يتغزّل بها عارضًا صفاتها الجسدية وحيويتها.

التقسيم بحسب حركة القصيدة:

- من البيت الأول إلى البيت الثاني: الوقوف على الأطلال واستحضار الحبيبة الغائبة.
- من البيت الثالث إلى البيت الخامس: استرجاع صورة موكب الحبيبة ورحلته.
- من البيت السادس إلى الأبيات اللاحقة: وصف الحبيبة والتغني بجمالها.

أولًا: الطلل بين الغياب والذكرى

يفتتح الشاعر كلامه بذكر خولة وآثار دارها في موضعين مسمّيين من جزيرة العرب. وتقديم الجار والمجرور المتعلق بخولة على المبتدأ يسلّط الضوء على الحبيبة منذ البداية، كأنها مركز التجربة الشعرية، مع أن حضورها الفعلي غائب. أما الأطلال فهي بقايا منزل هجره أهله؛ وبذلك يجتمع في المطلع الإنسان الذي يتذكر والمكان الذي يذكّره.

لا تظهر الآثار مطموسة تمامًا، بل تلوح للناظر كما تبقى علامة الوشم على ظاهر اليد. والتشبيه يجعل الطلل واضحًا مستمر الأثر، ويشير إلى أن ذكرى خولة راسخة في نفس الشاعر كما ترسخ العلامة في الجلد. وهكذا يصبح المكان مثيرًا للذكرى، وتكون الاستجابة حزنًا ولوعة وشوقًا.
ويمكن فهم حركة المقطع بوصفها انتقالًا من رؤية خارجية للأطلال إلى انفعال داخلي يبعثه النظر إليها.

تتجلى هنا مفارقة بين حالين: المكان في الحاضر خالٍ موحش، لكنه كان عامرًا حين أقامت فيه الحبيبة وأهلها. لذلك يرتبط الطلل بالموت والفناء والرحيل، في حين ترمز خولة إلى الحياة والخصب

والنماء. ولا يفصل الشاعر بين عالمه النفسي والعالم المحيط به؛ فالديار المهجورة تعبّر عن غربته المادية والنفسية، وتستدعي زمنًا مضى ثم انقطع.

ويستعين الشاعر بأصحابه طالبًا منهم الوقوف معه، ويأتي طلبه في صيغتي الأمر والنهي، لكنه لا يقصد السيطرة عليهم، بل يلتمس مشاركتهم ومواساتهم. فالأصحاب يخففون عنه، ويحثّونه على الصبر والتجلّد. ومن المهم الانتباه إلى أن ذكر الرفاق والوقوف الجماعي أمام الديار عادة شعرية متوارثة، كما يكشف عن حاجة الفرد إلى الجماعة في بيئة قاسية. وتوحي الأفعال المضارعة في مشاهد التلألؤ والقول باستمرار الصورة واستحضارها أمام السامع.

أما الزمن فيتجاوز ترتيب الأحداث العادي: يبدأ الشاعر من حاضر الوقوف على الأطلال، ثم تدفعه الذاكرة إلى الوراء، نحو زمن الرحيل. فالماضي يقتحم الحاضر من خلال المكان، ويجعل المشهد القديم حاضرًا في الوجدان. لهذا لا تكون الوقفة الطللية وصفًا ساكنًا فحسب، بل وسيلة للانتقال بين زمن الألم الراهن وزمن الذكرى.

ثانيًا: رحلة الظعائن

تفضي صورة الطلل إلى استعادة رحيل خولة وقومها. والظعينة هي المرأة في هودجها على ظهر البعير، وقد يطلق اللفظ على الهودج نفسه. ويشبّه الشاعر الهوادج المحمولة على الإبل بسفن تعبر الماء، فتتحول حركة القافلة في الصحراء إلى مشهد بحري متحرك. وتتصل الصور بعضها ببعض: حركة الإبل تشبه سير السفن، ومسار القافلة يبدو كمسار مركب يغيّر وجهته، كما يشبه شقّ مقدمة السفينة للماء شقّ الأرض أو التراب.

تستمد هذه الصور عناصرها من خبرة الشاعر المحيطة به، فتجمع بين الصحراء والبحر والسفن والملاّح. وهي صور حسية قريبة من المشاهدة، تساعد على تخيّل حركة الموكب بدل الاكتفاء بالإخبار عن الرحيل. وللرحلة معنى مزدوج: فهي انتقال نحو الماء والمرعى، أي بحث عن مقومات الحياة، لكنها في تجربة الشاعر تعني أيضًا الفراق والابتعاد. لذلك تتقابل في النص دلالات الحياة والموت؛ فالماء والحبيبة يرتبطان بالحركة والخصب، في حين تحيل الأطلال والصحراء إلى الخواء والغياب.

ثالثًا: صورة الحبيبة ومحاسنها

ينتقل الشاعر من حركة الرحيل إلى وصف المرأة. ويقدّم مشهد الحيّ العامر على نحو يناقض صورة الديار الخالية: المكان هنا نابض بالحركة لأن الحبيبة موجودة فيه. وقدّم المكان في التركيب ليبرزه ويهيّئ لظهور المرأة، كما أن الفعل المضارع الدال على الحركة يجعل وصفها متجدّدًا في المخيلة.

يصف الشاعر الحبيبة بسمرة اللون، والأناقة، والخفة والنشاط. ويشبّهها بظبي صغير يتحرك ويرعى، ثم يورد تفاصيل من عالم الحيوان والنبات. وتقوم الصورة على استعارة تُجعل فيها المرأة كأنها ذلك الظبي، وتدل الألفاظ المرتبطة بحركته ورعيه على امتداد الصورة، لذلك توصف بأنها استعارة مرشّحة. ولا يقتصر التشبيه بالظبي على الرشاقة؛ بل يضفي على المرأة استقلالًا ومغامرة، إذ تبدو قادرة على الابتعاد عن القطيع من غير خوف.

وفي وصف الأسنان والشفتين يقرّب الشاعر المشهد من صور النبات والرمل: بياض الأسنان وبريقها يقابلان إشراق الزهر، بينما توحي سمرة الشفتين بلون الأرض. وهذه مقابلة لونية تبرز التباين بين البياض والسمرة، وتمنح الصورة وضوحًا حسيًا. ثم ينتقل إلى الوجه، فيصوّر إشراقه ونقاءه وليونته بما يذكّر بضياء الشمس، فتكتمل صورة الجمال والعناية والنضارة.

يتدرّج الوصف من الصورة العامة إلى الأجزاء والتفاصيل. وله وظيفة تصويرية، لأنه يجعل الحبيبة مرئية في الخيال، ووظيفة تمجيدية، لأنه يبرز محاسنها، ووظيفة رمزية، لأن التغني بجمالها يستحضر قيم الحياة والخصب في مواجهة قسوة الطبيعة. ويزاوج الشاعر بين الإنسان والحيوان والنبات، مستفيدًا من عناصر بيئته في التشبيه والاستعارة.

مفردات ومصطلحات

- **الطلل:** أثر الدار بعد رحيل أهلها.
- **الظعينة:** المرأة في هودجها، أو الهودج الذي تُركب فيه.
- **النسيب:** القسم الغزلي الذي يتناول الحبيبة والشوق إليها.
- **الوقفة الطللية:** استهلال القصيدة بذكر الديار الخالية وما تثيره من ذكريات.
- **الاسترجاع:** عودة الذاكرة من الحاضر إلى أحداث الماضي.
- **الاستعارة المرشّحة:** استعارة تعقبها ألفاظ تلائم الصورة المستعار منها.

خصائص فنية

تظهر في النص بنية القصيدة الجاهلية المألوفة: وقفة على الأطلال، ثم استعادة الرحلة، ثم النسيب. ويعتمد الشاعر التشبيه والاستعارة، ويكثر من الصور الحسية المستمدة من بيئته، مع توظيف المكان والحيوان والنبات. كما تتنوع الأساليب بين الخبر الذي يرسم المشاهد والإنشاء الطلبي الذي يعبّر عن الالتماس وطلب المواساة. ويساعد الوزن والقافية على انتظام الإيقاع، فيما تمنح الأفعال المضارعة الصور إحساسًا بالحركة والاستمرار.

تركيب

يبني طرفة مطلع قصيدته على تحوّل الطلل من أثر جامد إلى مفتاح للذاكرة. فالمكان يكشف غياب خولة، لكنه يعيدها إلى الوجدان، ومن ألم الحاضر تنطلق استعادة موكبها، ثم يتسع التذكر إلى وصف جمالها وحيويتها. وهكذا تتجاور في النص ثنائيات الغياب والحضور، والفناء والخصب، والصحراء والماء. وتدل الصور على أن الشاعر يستمد معجمه من بيئته، لكنه يوظفه للتعبير عن تجربة وجدانية خاصة.

منهجية الإجابة عن أسئلة النص

1. ابدأ بتحديد نوع النص وموقعه من القصيدة، ثم صغ موضوعًا موجزًا يضم الوقوف على الطلل والرحلة والغزل.
2. عند التقسيم، استند إلى تحوّل الموضوع، لا إلى عدد الأبيات وحده، وبيّن وظيفة كل مقطع.
3. في التحليل، اربط اللفظ بدلالته: فسّر صورة الأطلال أولًا، ثم وضّح أثرها في نفس الشاعر، وانتقل إلى حركة القافلة ووصف الحبيبة.
4. عند دراسة صورة فنية، عيّن عناصرها إن كان ذلك مناسبًا، ثم اشرح وجه الشبه أو أثر الاستعارة، واربط الصورة بمعنى المقطع.
5. ميّز بين الصيغة النحوية والقيمة التعبيرية؛ فالأمر أو النهي قد يفيد الالتماس، ولا يكفي ذكر اسمهما دون بيان السياق.
6. اختم تركيبك بخلاصة تبيّن علاقة المكان بالذاكرة، وكيف تتقابل دلالات الموت والحياة في القصيدة. اجعل الإجابة واضحة، واستشهد بلفظ أو صورة من النص عند الحاجة من غير إطالة أو تكرار.

المفردات والمصطلحات

الطلل	أثر الديار بعد رحيل أهلها، ويحمل دلالات الذاكرة والزوال.
الشاهد	لفظ أو تركيب أو بيت يُستند إليه لإثبات فكرة.
التأليف	خلاصة تجمع نتائج التحليل وتقيّم قيمته الفنية والدلالية.

منهجية الإجابة

1. اقرأ العنوان وحدد المحور ونوع النص قبل الشروع في التحليل.
2. قسّم النص حسب التحول في المعاني أو مواقف الشخصيات أو مراحل التجربة.
3. استدل بشاهد دقيق ثم فسّر أثره في المعنى أو الأسلوب، ولا تكتف بالتسمية.
4. اختم بتركيب يربط بين المضمون والبناء ويبرز القيمة الفنية أو الإنسانية.

خلاصة المراجعة: افهم الفكرة، حدّد الشاهد، فسّر دلالته، ثم اربط النتيجة بمحور الدرس.

منصة التعليم التونسي · taalimtn.com